جرائم الصهيونية ومعاناة الفلسطينيين وحكمة الرحمة الكامنة فى آيات العقاب والعذاب فى القرآن الكريم

محمد سعد زغلول سالم

الأربعاء ٢٠ ديسمبر ٢٠٢٣

لطالما كان التدَّبُر فى آيات العقاب والعذاب فى القرآن الكريم التى توَّعدَ بها الله الكافرين والظالمين مثاراً للعديد من التساؤلات عن كيفية إتِساق رحمة الله الواسعة غير المحدودة ورأفتِه بخلقِه مع مشاهد العذاب المُرَّوِعَة التى تتبدى فى الكثير من آيات القرآن الكريم. كما كانت هذه الآيات هدفاً دائماً للإنتقاد من كثيرين من غير المسلمين الذين كانوا يستنكرون أنْ يعاقبَ الله الرحيم الغفور المُحب لخَلْقِه وإن كانوا مشركين أو كافرين أو ظالمين أو باغين أو معتدين بمثل هذا العذاب فى الجحيم الذى لا يستطيع العقل مهما أوتى من خيالٍ واسع أن يتصور حالَ من يُلْقَى فى نار جهنم بما وَرَدَ لها من صفاتٍ يرتعِد من هَوِلها كُلُ مَنْ يحاول مجرد تصورها.

ورغم ما كان يُسْعِف به الإيمانُ العقلَ أحياناً من مُبررات لهذا العذاب المُرَّوِعَ عندما يسترجع الجرائم بالغة الفظاعَة التى أَلِفَ الكثيرون من البشر إرتكابها فى حق آخرين والتى بلغت ذروة وحشيتها وهمجيتها وإجرامها فى إلقاء الولايات المتحدة الأمريكية القنبلتين الذريتين على مدينتى هيروشيما وناجازاكى فى أغسطس ١٩٤٥ بعدما أوشكت الحرب العالمية الثانية على الإنتهاء .. إلا أنَّ ما يحدث منذ خمسة وسبعين يوماً من جرائم الإبادة الجماعية والمجازر الوحشية والهمجية غير المسبوقة التى يرتكبها مجرمو الكيان الصهيونى فى غزة وفى فلسطين ضد الفلسطينيين الأبرياء العُزَّل أطفالاً ونساءاً وشيوخاً بغير تمييز إستمراراً لما بدأه وإستمر فى إرتكابه منذ خمسة وسبعين عاماً منذ غرَسَهُ الشيطانُ فى أرض فلسطين المباركة كشفَ أمام بصيرة المرءِ فى جلاءٍ ووضوح حكمة الله فى ما أَعَّده وتوَّعدَ به الكافرين والظالمين من عذاب تقشعر منه جلودُ من يحاول تصورها سوف يتقَّلى فى أتونها أولئك الكافرين والظالمين إلى غير نهاية مثلما جاء فى اللآية الكريمة (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) وكذلك رحمته الكامنة فى هذه الآيات وعَدْلِهِ فى ورودها بهذا الجلاء وهذا الوضوح حتى لا يكون لمن يلتفت عنها حجةُ يحْتَّج بها حينَ يحينُ الحساب.

فهل يخالج عقلَ أو ضميرَ أو فطرة أىِّ إنسان مسلماً كان أو غير مُسلمٍ رأى ومازال يرى ما يُنزله مجرمو الكيان الصهيونى بالفلسطينيين من مخاوف وأهوال ومعاناة وآلام وأحزان تردُّد أو تساؤل أو أىُّ شكٍ فى أنَّ آيات العقاب والعذاب المُرَّوِعَة فى القرآن الكريم إنما هى الجزاء العادل الذى يستحقه هؤلاء المجرمين الهَمَج الذين غضِبَ الله عليهم ونزع من قلوبهم الرحمة حتى صاروا وحوشاً ضارِيَة يتلذذون بالقتل وسفك الدماء والتعذيب مثلما تكشفه أفعالُهُم ضد الأبرياء العُزَّل فى فلسطين فصاروا مستحقين لعذابات الجحيم التى أَعَّدَها الله لهم وبينها فى القرآن الكريم .. وهل يخالج عقلَ أو ضميرَ أو فطرة أىِّ إنسان مسلماً كان أو غير مُسلمٍ رأى ومازال يَرَى ما يُنزله مجرمو الكيان الصهيونى بالفلسطينيين من أهوال وآلام وأحزان ومعاناة وعذاباتٍ تردُّد أو تساؤل أو أىُّ شكٍ فى أنَّ مجرمى هذا الكيان من الصهاينة هم ذرية الشيطان وأولياؤه ونصيبُه المفروض من الضالين من شِرار الخلق المفسدين فى الأرض الذى طلب الشيطان من الله أن يُمْهِلَه لإضلالِهم مثلما جاءَ فى سياق الآية الكريمة (شَيْطَانًا مَّرِيدًا لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ) وأجابَهُ الله إلى طلبه إلى حين ليرى مَنْ مِنْ العباد سوف يتبعونه ويتنكبوا عن طريق الحق والهدى بعد كُلٍّ ما أبانهُ الله لهم من سبُل الهداية والتقوى والصلاح .. فهاهم صهاينة هذا الكيان ومنذ قديم عهودهم قد تبعوا الشيطانَ وصاروا بمحض إرادتهم وفطرتهم التى أفسدوها بالمعصية والفسوق والآثام حيناً وبالكفر والشرك وعبادة الأصنام والأوثان حيناً آخر وبالبغى والظلم والعدوان حيناً ثالثاً وقوداً للجحيم الذى سيتقلون ويخلدون مع الشيطان وأوليائه فى نارها بغير أن يأبَه لعذابهم أحدُ بعدما أنزلوا مثلَه بالفلسطينيين بغير أن يأبهوا لأى رادع من دين أو أخلاق أو ضمير .. وهذا هو مقتضى العَدْل الإلهى الذى لا يظلم أحداً ولكِنَّ الناسَ أنفسهم يظلمون.

ولا يستطيع المرؤ لدى تدَّبُره فى مغزى وحكمة آيات العقاب والعذاب فى القرآن الكريم إلا أن يُدْرِك جوانبَ عَدل الله ورحمته الله الكامنة فيها .. فهذا الوعيد بالعذاب يُحَذِّر به الله كُلَّ الكافرين والباغين والظالمين من الإقدام على إلحاق الأذى والعذاب بالأبرياء من ضحاياهم حتى يكون هذا الوعيد الذي يكادوا يَرَوْنَ رأْيَ العين عواقبَه المُرَّوِعَة فى حروف وكلمات هذه الآيات رادعاً لهم عن الإقدام على إرتكاب هذه الجرائم وهذا هو مكْمَنُ الرحمة فى آيات العذاب .. فقد يخشاها البعض وقد يتجنبها البعض وقد يرجع عن التفكير فى إرتكاب ما سوف يستحقه من عذابها البعضُ وفى كُلٍّ هذا رحمة بالأبرياء ممن قد يترصدهم ذرارى الشيطان من البشر الضالين بالظلم والبغى والعدوان والعذاب .. ولله فى مشيئتِه حكمة وله فى خلقه شؤون.